# الفصل الثاني والعشرون

## الاستعادة

كان الظهور الجماهيري الأول لفرقة بازي رايوت في أكتوبر/تشرين الأول عام 2011م، بعد شهر من ظهور الاحتجاجات، وقد صوروا أنفسهم في مواقع مختلفة داخل مترو موسكو، وفي نقطة معينة فوق سقالة العمال، وكانت تغطي وجوههم أقنعة معينة، ويغنون في الساحة الحمراء بصوت عال أغاني تدعو للإطاحة ببوتين. وفي ديسمبر/كانون الأول قدموا عروضهم في الساحة الحمراء نفسها، فوق لبنويي ميستو؛ المنصة الحجرية التي بنيت في القرن السادس عشر لقراءة مراسيم القياصرة، وقدم ثمانية أعضاء منها أغنية (بوتين بوَّل على نفسه)، مستوحاة من خوف الحكومة وارتباكها الواضح في مواجهة الاحتجاجات، وقد كررت الأغنية موعظة ألكسي نافالني في الليلة الأولى للاحتجاج، وأضافوا إليها أيضًا أغنية (شغب في روسيا)، و(ها نحن موجودون).

في البداية لم تُبدِ السلطات كثيرًا من الاهتمام لهذه المجموعة، وكثيرًا ما تعرضوا للاحتجاز والمساءلة، لكنهم كانوا حريصين على إعطاء أسماء وهمية، وغالبًا ما يفرج عنهم بعد ساعات من احتجازهم. وقد غزت أشرطة الفيديو الخاصة بهم العالم الافتراضي، حيث تكتسب حركة احتجاج روسيا اليوم مزيدًا من الزخم. كانت احتجاجات المجموعة، وحتى اسمها- كان يقدَّم باللغة الإنجليزية؛ لأن التعبير المعادل لها باللغة الروسية بدا أكثر ابتذالًا وفظاظة- يناسب المزاج الثوري المتمرد الذي استمر في فصل الشتاء واستمر إلى العام الجديد وموسم الانتخابات الرئاسية، وبدت أركان الكرملين ترتعد أمامها، وعلى الرغم من

كل التوقعات، فقد كان ثمة بصيص أمل بطريقة ما أن تعيق هذه الاحتجاجات إعادة انتخاب بوتين الذي حدد في مارس/آذار.

**قال** هنري كيسنجر، بعد وقت طويل من اجتماعه ببوتين في موسكو، في يناير/كانون الثاني 2012م، وكانت الاحتجاجات لا تزال مستمرة: «يبدو أقل زهوًا اليوم»[1]. وكان هذا المخضرم في السياسة الواقعية يجتمع بانتظام ببوتين منذ وصوله إلى السلطة. ويتذكر بوتين بإعجاب اللقاء الأول الذي جمعهما في مطار بطرسبورغ في التسعينيات حيث استقبله هناك، وقد امتدحه ذلك الرجل العجوز قائلًا: «كل الشرفاء كانت بدايتهم في المخابرات». عدَّ بوتين كيسنجر مستشارًا يمكن الوثوق به، فهو من احترمه واحترم المصالح الوطنية لروسيا، بصرف النظر عن الحالة المتغيرة للعلاقات مع الولايات المتحدة. كيسنجر المحارب البارد العجوز، الذي دعا دومًا لتعميق التعاون مع روسيا، أبدى إعجابًا به مرة أخرى: «بوتين ليس ستالين الذي يشعر أن عليه أن يدمر أي شخص يمكن في لحظةٍ ما أن يختلف معه في المستقبل»، وقال ذات مرة: «بوتين شخص يريد أن يجمع السلطة اللازمة لإنجاز مهمته العاجلة»[2]. وحالما بدأت حملة إعادة انتخاب بوتين، كانت المهمة العاجلة هي تطويق احتجاجات الشوارع، وقد أحس كيسنجر أن عزيمة بوتين الفولاذية المعتادة قد تضاءلت قليلًا.

كان الكرملين لا يزال يرأسه اسميًّا ديمتري ميدفيديف، الذي عرض في البداية تنازلات لنزع فتيل غضب المحتجين؛ تشمل إعادة الانتخابات الإقليمية التي ألغيت من قبل بوتين في عام 2004م، وتخفيف القيود على تأسيس الأحزاب السياسية الجديدة، وكذلك تأمين دمغة في ورقة الاقتراع الرئاسي، وحتى الكنيسة الأرثوذكسية دعت الحكومة لمعالجة تلك المظالم الموجودة في الشوارع، وقال زعيم الكنيسة البطريرك كيريل، في مقابلة مع التلفاز الحكومي يوم عيد الميلاد الأرثوذكسي، في 7 يناير/كانون الثاني، إن حملة قمع المحتجين ستكون مضللة كتلك التي كانت سائدة في الحقبة السوفييتية، وكان ذلك بيانًا مذهلًا من مؤسسة

تحالفت تحالفًا وثيقًا مع السلطات[3]، وأبدى قادة كنائس آخرون تعاطفًا مماثلًا، وتقدموا للتوسط بين الحكومة والمحتجين.

ثم تحولت فجأة لهجة الكنيسة؛ فقد دعا بوتين قبل أقل من شهر قادة جميع الأديان في البلاد، الأرثوذكسية واليهودية والبوذية والإسلام والروم الكاثوليك والأرمن الكاثوليك، وحتى السبتيين، والعقيدة الإنجيلية التي كافحت ولم تحظ باعتراف رسمي بها أو دعم لها، إلى دير دانيلوف في موسكو. أغدق كيريل- بصفته المضيف- الثناء على بوتين، وتلاه رجال دين آخرون من الحاخامات، واللامات، والمفتين. ذكر كيريل مصاعب التسعينيات قبل أن يظهر بوتين على الساحة، وقارن بين العصر الراهن وعصر المشكلات في مطلع القرن السابع عشر، وغزو نابليون في عام 1812م، وغزو هتلر عام 1941م، وقال: «كيف كانت بداية الألفية وقتها؟ بمعجزة إلهية، وبمشاركة فاعلة من قيادة البلاد، تمكنَّا من الخروج من الأزمة الشاملة الرهيبة»، ثم تحدث مباشرة إلى بوتين ليشكره على «دوره الكبير» في تصحيح «هذا التطور الملتوي من تاريخنا»[4].

دعم الكنيسة لبوتين، مباهاة كان أم عقيدة راسخة، لم يكن مفاجئًا، لكنه في دولة علمانية لها دستور يفصل رسميًّا الكنيسة عن الدولة، وفي ذروة موسم الانتخابات المضطرب، يثير الغضب. وسرت شائعات بأن الكرملين ضغط على البطريرك وغيره للوقوف مع بوتين، وانتشرت في صحافة المعارضة مقالات تعيد نشر الشائعات القديمة حول انتماء كيريل للـ(كي جي بي)، ومشاريعه التجارية في استيراد التبغ في التسعينيات، وتجاربه مع الكماليات الدقيقة، ومن ذلك البيت الريفي الكبير، واليخت الخاص، والساعات باهظة الثمن (نفى امتلاك الأخيرة إلى أن ظهرت صورة رسمية له بساعة فاخرة على طاولة صقيلة). الكنيسة التي طالما قُمِعت بشدة ذات مرة، انبثقت من جرَّاء انهيار الاتحاد السوفييتي بصفتها واحدة من المؤسسات الأكثر احترامًا في البلاد، والتي يعدها كثير من أتباعها مؤسسة تتخطى السياسة في البلاد، واليوم يقود كيريل المؤمنين مباشرة في تحالف مع الدولة. وبعد شهر

واحد فقط من تعبيره عن تعاطفه مع المتظاهرين، يشتكي اليوم من «الصرخات التي تثقب الأذن، من أولئك الذين استهوتهم ثقافة الاستهلاك الغربية التي تعارض التقاليد الروسية».

انقلاب كيريل كان فاضحًا، وأثار غضب النقاد، لكنه يعكس بزوغ الرواية المركزية لعودة بوتين، وهي الرواية التي لا تعود بجذورها إلى الحقبة السوفييتية، والحنين إليها، وإنما إلى الماضي القيصري الأكثر بعدًا، الذي ورد في عديد من الكتابات، وأهمها ما كتبه الفيلسوف السياسي إيفان، الذي اقتطف بوتين من كتاباته في خطاباته منذ عام 2005م، مواجهًا بها الاضطرابات. بوتين لم يصور نفسه فقط الضامن للمكاسب التي تحققت بعد الحقبة السوفييتية، وإنما أيضًا زعيمًا للأمة بصورة أعمق؛ فقد كان حاميًا لقيمها الاجتماعية والثقافية.

في سلسلة من سبعة تصاريح خص بها حملته الانتخابية، ونشرت مرات عديدة في صحف رائدة، أوجز الخطوط العريضة لرؤيته الجديدة المحافظة بصورة صارخة للبلد التي تستقي من «النموذج الحضاري» لروسيا، والذي يتعارض تمامًا مع القيم الغربية المنحطة التي يمثلها اليوم شريحة واسعة من المحتجين ضد حكمه في الشوارع، وقد اختار هجومًا مضادًّا كان فاعلًا بدرجة كبيرة.

في ذروة الاحتجاجات في ديسمبر/كانون الأول ويناير/كانون الثاني، أشارت استطلاعات الرأي إلى أنه قد لا يحصل على نصف الأصوات، وهو ما سيفرض جولة ثانية، لكن بحلول فبراير/شباط بدأت شعبيته في الصعود مرة أخرى؛ فقد بقيت أجهزة الإعلام في الكرملين في خدمته، تصوره السيد الثابت لدولة تقبع تحت الحصار، وكان خصومه ضعيفين جدًّا، أو متطرفين، يساعدهم المخربون في الداخل وأسيادهم في الخارج، ممن عزموا على تدمير الأمة. كذلك كان وصولُ السفير الأمريكي الجديد، مايكل ماكفول، واجتماعه بقادة المعارضة في هذا التوقيت السيئ، في يومه الثاني في السفارة، مادةً مغذية للتلفاز الحكومي الذي صور الاحتجاجات كما لو أنها توغل غربي. أرادت المعارضة المواجهة، فقال بوتين في نهاية هذا

الشهر، حتى إلى حد ارتكاب جريمة قتل: «أنا أعرف ذلك»، قالها وهو يشير إلى الدفاع الذي نشر لأول مرة بعد وفاة آنا بوليتكوفسكايا وألكسندر ليتفينينكو، واستخدم فيه لغة وجهت ذات مرة ضد المتمردين في الشيشان؛ وأضاف: «إنهم يبحثون عن ضحية مقدسة، أو شخص مشهور؛ سيضيِّعونه- إذا سمحتم لي بهذا التعبير- ومن ثم يلقون باللوم على الحكومة»[5].

قبل يوم واحد، كشفت شبكة تلفاز القناة الأولى عن اعتقالٍ، لم يعلن منذ أسبوعين، لاثنين من المشتبه فيهما في أوكرانيا، زُعِمَ أنهما خططا لاغتيال بوتين، أو ربما غيره من كبار المسؤولين؛ من خلال تفجير موكب السيارات في موسكو. ومع اقتراب الانتخابات بدا الخيار الذي تواجهه روسيا صارخًا ووجوديًّا، كما لو أنه يفترض أن يكون: بوتين أو الهاوية.

كما هو الحال في الانتخابات السابقة، لم يشارك بوتين مباشرة في حملته الانتخابية، إنما كانت واجباته الرسمية على نحو متزايد المشاركة في المواضيع العسكرية علنيًّا؛ ففي يناير/كانون الثاني، في الذكرى السنوية لرفع الحصار عن لينينجراد، زار المقبرة التي ادعت منظمة البحوث أن شقيقه فيكتور دفن فيها في أثناء الحرب، وبعد أيام زار مركز العلماء في مركز ساروف (حيث يصنَّع البولونيوم العالمي 210)، وتعهد بتجهيز عشرة أفواج جديدة من الصواريخ الجديدة القادرة على ضرب عمق أوروبا. وفي فبراير/شباط أعاد الحشد الجماهيري الوحيد في ملعب لوجنيكي تسمية عطلة الجيش الأحمر القديمة بـ(يوم المدافعين عن أرض الآباء)، وذكرت القنوات الحكومية أن الحضور بلغ 130 ألفًا، على الرغم من أن سعة الملعب كانت 80 ألفًا فقط، وكثير من الحضور كان من موظفي الحكومة، وجاء بعضهم من مدن بعيدة، لكن كل ما يهم هو البانوراما التي عرضت مرارًا وتكرارًا على شاشات التلفاز في البلاد. سار بوتين إلى المنصة الزرقاء المغطاة بالسجاد في خط الوسط، وكان يرتدي سترة سوداء لدرء الثلوج الخفيفة، ويمسك بالميكروفون، ثم صرخ برعونة- وحده وسط بحر من الأعلام واللافتات-: «هل نحن نحب روسيا؟»، وكان يتخبط حول المسرح، وقد انفجر الغضب المختزن بداخله. ناشد الجمهور «ألا ينظر إلى ما وراء البحار، ولا يهرع إلى اليسار أو إلى الجانب، وألا يخون الوطن، وأن يكون معنا، ويعمل لروسيا ويحبها كما نفعل من

كل قلوبنا». وكما فعل كيريل في لقائهما، استحضر معركة بورودينو التي انهزم فيها نابليون في ضواحي موسكو، فكان نداء لمقاومة الأجنبي الذي يعد تراثًا مقدسًا في البلاد، حتى إنه استشهد بالقصيدة الشهيرة لميخائيل ليرمونتوف التي نشرت في الذكرى السنوية الخامسة والعشرين لبورودينو، التي يدعو فيها عقيد رجاله للموت في سبيل الدفاع عن الوطن:

«يا رجال، هل موسكو ليست لنا؟
إذن سوف نموت بالقرب من موسكو
كما فعل إخوة لنا
وقد نذرنا أنفسنا للموت».

بعد قرنين من الزمان استمرت المعركة من أجل روسيا، وأرعد بوتين مختتمًا، وعلى وجهه المشدود تكشيرة: إنما النصر «في جيناتنا».

**بحلول** ليلة 4 مارس/آذار أصبح نصر بوتين محققًا، وكما توقع الجميع تقريبًا؛ فاز بـ 63 في المئة من الأصوات في الجولة الأولى، وهي- وإن كانت أقل مما كانت عليه في الانتخابات السابقة، سواء بالنسبة إليه أو إلى ميدفيديف- لا تزال أغلبية صلبة. زغانوف، في شوطه الرابع، جاء في المرتبة الثانية وبفارق كبير، كما جرت العادة، فحصل على 17 في المئة. ولنزع فتيل الاتهامات التي شابت الانتخابات البرلمانية، أمر بوتين بتثبيت الكاميرات تقريبًا في كل مراكز الاقتراع في البلاد، لكن الأدلة على التزوير، ومن ذلك التصويت الدائري وحشو صناديق الاقتراع، ألقت مع ذلك ظلالًا من الشك على رصيده. حسب بعض التقديرات، الملايين من الأصوات أضيفت إلى مجموع أصوات بوتين، على الرغم من أن أقسى منتقديه يعترفون بأنه حصل على دعم من معظم الروس. فاز بوتين في كل منطقة من مناطق البلاد باستثناء موسكو، ومركز النخبة الساخطين، حيث كان فوزه لا يزال بنسبة 47 في المئة. وفي مسقط رأسه بطرسبورغ، حيث انتشرت هناك فورة من النشاط السياسي بعد التصويت في ديسمبر/كانون الأول، فحصل على 59 في المئة.

أعلن بوتين النصر في كلمة مقتضبة له في ساحة مانيج، وكانت أبراج الكرملين خلفية تلفازية مثالية له. تجمع حشد كبير أمام منصة صغيرة، كثير منهم من خارج موسكو، كما جرى في تجمعه الانتخابي الوحيد، حين حشدوا في حافلات إلى منطقة آمنة ليطل عليهم بوتين. كان هؤلاء هم أناس بوتين، وليسوا محبي العصرنة، المثقفين والراديكاليين وليس الذين تخلوا عن جذورهم وأصالتهم، الذين سيعيدون روسيا عن تقاليدها وجذورها الضاربة في التاريخ.

قال بوتين في تلك الليلة بعد أن قدَّمه ميدفيديف: «لقد أشرنا إلى أن شعبنا قادر على معرفة الغث من السمين»، وأضاف: «إن الرغبة الحقيقية تتمثل في تحقيق الحداثة على الرغم من الاستفزازات السياسية التي لها هدف وحيد: تدمير روسيا دولةً، واغتصاب السلطة». عندما كان يتحدث انهمرت الدموع على خديه، لأول مرة في مناسبة عامة منذ جنازة أناتولي سوبتشاك قبل اثني عشر عامًا، ويبدو أنه عرض عاطفي حقيقي، لكن الكرملين أصر في وقت لاحق أنها كانت بفعل رياح شديدة.

تركت الانتخابات معارضي بوتين مكتئبين ومشوشين، وتحول المزاج الاحتفالي للاحتجاجات الكبيرة الأولى إلى يأس؛ فقد توحَّد المتظاهرون على قضية، أو على مجموعة متنوعة من القضايا، لكن ليس على إستراتيجية لتحقيق هذه الأهداف، وأصبح من الواضح أن شيئًا لم يتغير، وربما لا شيء سوف يتغير، إلا في المفاهيم المجردة لمجتمع ديموقراطي تعددي، الذي يمكن أن ينشأ إذا كانت هناك (روسيا من دون بوتين)، كان هناك مخطط لوقفة احتجاجية في ساحة بوشكين مساء اليوم التالي، على مسافة أقل من ميل من الكرملين، لكن ما الفكرة اليوم من وراء ذلك؟

وبدلًا من الجماهير التي نهضت لاحتجاجات مبكرة، فقد حضر هذه المرة ربما عشرون ألفًا، وقال نافالني في تلك الليلة: «لقد بالغنا في تقدير قوتنا». مع انقضاء الساعتين المخصصتين للاحتجاج، والتي رأت السلطات أنها كافية لتطلق بعدها البخار لتفريق

المتظاهرين الذين بقوا محتشدين في الساحة ولا يتجاوز عددهم ألفي شخص، وكانوا غير متأكدين هل عليهم الاستجابة لدعوات نافالني، والزعيم المعارض الأكثر عدوانية سيرجي أودالتسوف، بالبقاء في الشوارع، أو حتى نصب خيمة احتجاج كما فعل الأوكرانيون في كييف عام 2004م، أو كما فعل المحتجون في القاهرة قبل عام، ولكن حسم ذلك قوات مكافحة الشغب إذ اجتاحت المكان، والهراوات تهتز بأيديهم؛ وألقي القبض على أكثر من 250 شخصًا، وأصيب العشرات، ثم ظلت شوارع موسكو فارغة.

استمرت الاحتجاجات في الأسابيع والأشهر المقبلة، ولكن مع كل احتجاج كان الزخم يتضاءل. كان كثير من الروس يريدون إنهاء النظام الذي أصبح فاسدًا ومهزلة كبرى، لكنَّ عددًا قليلًا جدًّا، حتى من نقاد بوتين الأشد تحمسًا، أرادوا الثورة التي من شأنها أن تفرض التغيير. في ذروة تلك الاحتجاجات، قارن سيرجي ماركوف، أحد الإستراتيجيين السياسيين في الكرملين، المتظاهرين بالأطفال المدللين، الذين يطلبون لعبة من أبيهم الصارم، كما هو حال الكرملين؛ قال: «ليس من الصواب أن تخرج لتشتري لعبة لطفل، بل أن تصرفه إلى شيء آخر»[6].

**عودة** إلى شهر فبراير/شباط، حين وصلت عازفة الغيتار يكاترينا ساميوستيفتش إلى كاتدرائية المسيح المخلص لأداء دورها في مجموعة بازي ريوت، أحست أن خطأ ما حدث في خطتهم السرية؛ إذ وصل المصورون في وقت مبكر إلى الكنيسة، وكانت استجابة الحراس سريعة وكأنهم يتوقعون وصولهم، ومن ثم فقد أعربت يكاترينا (كاتيا) لصديقاتها عن أنها تشتبه في وجود تسريبات من أحد المصورين الذي جاؤوا بهم لتسجيل أدائها، أو ربما بدأت الـ FSB برصدها من خلال أشرطة الفيديو الفيروسية الخاصة بهم في أثناء الحركة الاحتجاجية. وحين غادروا الكنيسة وجدوا أيضًا صحفيين ينتظرونهم في الخارج[7]. لم تكن متأكدة، لكن ربما جرى ترتيب لذلك؛ وفي كلتا الحالتين بدا واضحًا أن السلطات زادت اهتمامها بهذه العروض المثيرة وأرادت أن تضع حدًّا لها.

بعد يوم من نشر الفيديو، ندد المتحدث باسم الكنيسة، القمص فسيفولود شابلن، بهذا العمل، وعده خطيئة قاتلة، وجريمة ضد الله. وأعلنت النيابة العامة على الفور أنها ستفتح تحقيقًا، ولم يمض كثير من الوقت قبل أن تأتي قوة كاملة للدولة لتوقف هذا الشغب. وفي اليوم الذي سبق إعادة انتخاب بوتين، ألقت الشرطة القبض على ثلاث نساء ورجل، وفي اليوم التالي ألقوا القبض على اثنتين أخريين من النساء. كانت الشرطة لا تزال غير متأكدة من هوية الجماعة، فأُطلق سراح أربعة منهم، لكن وجدوا اثنتين من اللواتي كُنَّ في الكاتدرائية في ذلك اليوم من شهر فبراير/شباط: ناديجدا تولوكونيكوفا، وماريا أليوخينا. ألقي القبض على كاتيا بعد أسبوعين، في 16 مارس/آذار، ولم توجه لهنَّ تهمة الشغب، الانتهاك الصغير الذي لا يترتب عليه عادة أكثر من دفع الغرامة، ولكن وجهت لهن تهمة أعمال الشغب التي تمارسها مجموعة منظمة بدافع الكراهية الدينية، وبنية مبيتة لجعل سلوكهن مثالًا يحتذى. لائحة الاتهام اللاحقة اتهمتهن بتقويض (الأسس الروحية) لا للكنيسة فقط، وإنما (للدولة) أيضًا، والحكم عليها قد يصل إلى الحبس سبع سنوات. أرادت الفتيات من المشارِكات في فرقة بازي رايوت أن يلفتن الانتباه إلى التواصل والمشاركة بين الكنيسة والدولة، وكُن على وشك أن يعرفن أنهن محقات في ذلك. احتجزت الثلاث دون كفالة، على الرغم من أن ناديجدا وماريا كانتا أمهات لأطفال صغار.

الاعتقالات، وخطورة الاتهامات، أثارت موجة غضب جديدة مشوبة اليوم بالاستياء من عدم قدرة الاحتجاجات على أن تفعل أكثر من تشويه الفوز السهل لبوتين في الانتخابات. وأصبحت النساء الثلاث من المشاهير العالميين، وكن موضع إعجاب؛ لتحدِّيهن النظام الاستبدادي، وقد أعلنت منظمة العفو الدولية عدَّهنَّ من سجناء الضمير، ودافع موسيقيون بارزون (مؤمنون لا أكثر)– مادونا، وبِت تاونشيند، وبول مكارتني– عن قضيتهنَّ. أما في روسيا فقد ثبت أن مصيرهن سيكون فيه من التعقيد أكثر من ذلك بكثير: فقد قسَّم احتجاجهن المعارضة ومزقها بتواطؤ من الكرملين، الذي فعل كثيرًا لتشويه سمعتهن أكثر من أي شيء آخر في أعين الجمهور الواسع. ألكسي نافالني، الذي ينظر إليه الليبراليون

بحذر؛ لبعض آرائه القومية، ندد باحتجازهن، ولكنه وصف حيلتهن بالحمقاء، وكتب في مدونته[8]: «أنا لم أكن لأحبَّ ذلك- بألطف تعبير- لو كنت في تلك اللحظة في الكنيسة وجاءت بعض الفتيات المجنونات وبدأن يركضن حول المذبح»، وبدلًا من إثارة السجال في السياسة كما كنَّ ينوين، فقد غذت القضية الحرب الثقافية داخل المجتمع بطريقة يفضلها بوتين بكل تأكيد، وظلت الكنيسة من المؤسسات الأكثر احترامًا في روسيا، على قدم المساواة مع الرئاسة نفسها؛ فأكثر من 70 في المئة من الروس يقدمون أنفسهم بهويتهم بالأرثوذكسية، حتى وإن كان الإيمان لدى بعضهم ضعيفًا، وقلما مارسوا طقوس الكنيسة أو حضروها.

لقيت (صلاة الفاسقين) تفاعلًا، ودفعت بالمؤمنين للدفاع عن الكنيسة، على الرغم من فضائح فسادها وسلوكها التجاري، إذ كان الاعتقاد هو أن تكون مؤمنًا يعني أن تكون وطنيًّا، وأن تكون وطنيًّا يعني أن تكون مؤمنًا.

في أبريل/نيسان، يوم الأحد، بعد عيد الفصح، استجاب عشرات الآلاف لدعوة البطريرك للمشاركة في مظاهرة خاصة في كنيسة المسيح المخلص، وتضخم الحشد ليصل إلى خمسة وستين ألفًا، وفقًا للتقديرات الرسمية. حتى لو كان هذا الرقم مبالغًا فيه، فقد كانت المظاهرة أكبر من أي احتجاجات ضد بوتين، التي استمرت في التراجع بعد فوزه في الانتخابات. ظهر كيريل من الكنيسة في ذلك اليوم في موكب من الأساقفة والكهنة يحملون الرموز التي دُنِّست في العهد السوفييتي، ومن بينها واحدة ثُقبت بالرصاص يعود تاريخها إلى العشرينيات. لا يمكن مقارنة (هجوم المضطهدين) على الدين اليوم بالقمع السوفييتي، كما قال، إنما الليبرالية في الغرب كانت تهديدًا؛ لأنها تُعد «عين الكفرِ وتدنيسِ المقدسات، والسخرية منها»، لكونها «تجليًا قانونيًّا لحرية الإنسان، بوصفه شيئًا يجب الدفاع عنه في المجتمع الحديث». لم يذكر فرقة البازي رايوت، لكنهن تحولن إلى رمز للعدوى التي تتسرب من خلال حدود روسيا. أما بالنسبة إلى القساوسة فقد دعوا إلى الصفح عن النساء الثلاث في السجن، وكان من بينهم من يستشهد برحمة اليسوع، في حين كان يدعوهن كيريل «خائنات الغفارة» (الغفارة: رداء الكاهن).

عشية تنصيب بوتين يوم 7 مايو/أيار، خطط قادة الاحتجاج لتنظيم تجمُّع آخر مُرخَّص له في ساحة بولوتنايا، بمحاذاة النهر مقابل الكرملين حيث سيسلِّم ميدفيديف السلطة التي كان لا يمتلكها كليًّا. كان الجو دافئًا مع بداية فصل الربيع، وهذا يزيد بكل تأكيد عدد الحشود، وكذلك ملاحقة فرقة (البازي رايوت) قضائيًّا. احتشدت أعداد كبيرة من الناس في الساحة التي أغلقتْ فجأة كتائبُ من ضباط الشرطة المدخل المؤدي إليها، وقد خلق هذا زحامًا كبيرًا من المتظاهرين الذين تكدسوا في الشوارع، ومن بقوا خارج المحيط المغلق نظموا اعتصامًا وحدهم، بل إن شخصًا منهم نصب خيمة، وهي نذير شؤم لرجال الشرطة الذين تلقوا الأوامر بعدم السماح بأن يُرى هذا النوع من التخييم في الثورة البرتقالية. ظلَّ الاحتجاج سلميًّا بعض الوقت، لكن عندما بدأت الشرطة تصطاد المتظاهرين لاعتقالهم، تحولت إلى مشاجرة، وبدأت الحشود المندفعة تدافع عن المعتقلين، وردت الشرطة بالتلويح بالهراوات، فرد بعض من في الحشد برمي قطع الإسفلت، وكان بوريس نيمتسوف يصرخ: «روسيا ستكون حرة»، من على قمة بارزة، عندما اقتاده الضباط، وعندما ألقي القبض على نافالني بالقرب من المسرح، وبَّخ الضابط الذي قبض عليه، وسُجل قدحه من خلال ميكروفون كان يتقلده لتسجيل فيلم وثائقي عن الحركة المناهضة لبوتين، قال له: «سأضعك في السجن في وقت لاحق»، وقد بصق على اسم بوتين ورفاقه من رجال الأعمال؛ أركادي روتنبرغ، وجينادي تيمتشينكو، وتعهد أنهم سيكونون على قائمة المطلوبين عندما يصل إلى السلطة[9].

بحلول المساء انتهى الاحتجاج بأكثر من أربع مئة معتقل، وأصيب العشرات، من بينهم تسعة وعشرون ضابطًا، ظهروا في مقابلتهم في التلفاز الرسمي وهم مستلقون على العربات في المستشفى، في مشاهد يعتقد كثيرون أنها مسرحية لا أكثر. وعبَّر السكرتير بوتين الصحفي الدمث، دميتري بيسكوف، الذي عرف عنه نقل مشاعر سيده في الكرملين، عن خيبة أمله من أن الشرطة تصرفت على هذا النحو من ضبط النفس، وقال: «كنت أود أن يتصرفوا معهم بقسوة أكبر»[10].

استمرت الحملة في اليوم التالي على الرغم من إخلاء شوارع وسط موسكو من حركة السير استعدادًا لحفل التنصيب، وكان ضباط الشرطة يجوبون العاصمة ويقبضون على العشرات، كثير منهم دون سبب واضح سوى أنهم كانوا يرتدون وشاحًا أبيض. ودهمت سرية من قوات الداخلية ما أصبح يعرف باسم المقر غير الرسمي لحركة المعارضة، وكان مطعمًا فرنسيًّا يدعى جان جاك، وهو من الأمكنة التي نشأت في موسكو خلال سنوات الازدهار الاقتصادي، وأصبحت أماكن حداثية تشبه العاصمة الأوروبية النابضة بالحياة، يرتادها الشباب المبدعون من موسكو الذين يطلبون البيرة الأجنبية والنبيذ وفقًا لقوائم كتبت على السبورة. مع نهاية اليوم اعتقل أكثر من سبع مئة شخص حول موسكو، واقتيد عشرات الشبان الذين ارتادوا أماكن مثل مطعم جان إلى أماكن التعبئة في الجيش، تمامًا وفق لما حذروا منه عندما بدأت الاحتجاجات أول مرة. قال أوليغ أورلوف من جوار النصب التذكاري: «أعتقد أن هذا لإظهار من هو السيد»، وقالت منظمة حقوق الإنسان: «لقد أتانا قيصر جديد»[11].

بدأ حفل تنصيب بوتين في منتصف النهار بحضور شخصيات مرموقة، وبُثَّ الحفل إلى الأمة رسميًّا، كما كان من قبل؛ لكن في هذه المرة احتشدت الكاميرات في مكتب بوتين رئيس الوزراء في البيت الأبيض، ثم تبعته أسفل الدرج المغطى بالسجاد إلى المدخل الرئيس حيث كانت سيارة مرسيدس بنز بانتظاره، وتابعت كاميرا جوية ستَّ دقائق موكب الدراجات النارية للشرطة الذي يرافق سيارة بوتين، ودراجتين أخريين تفتح لها الطريق إلى الكرملين، حيث كان ميدفيديف بانتظاره، بعد أن استعرض حرس الشرف. مر الموكب بالشوارع التي لم تفرغ فقط من حركة السير وإنما من الناس أيضًا على نحو مخيف، فلا مَن شاهَد ولا مَن لوَّح ولا مَن هلل في ذلك الصباح المشمس؛ لم يجرؤ أحد أن يكون في الخارج.

في عام 2000م، أدى بوتين أول قسم دستوري على خلفية عدم الاستقرار الاقتصادي والسياسي، والحرب في الشيشان، أما تنصيبه الثاني فقد جاء أكثر هدوءًا، وجاء في ظل تلك الحرب وسط تشديد على الحريات السياسية وتفكيك شركة يوكوس، ولكن جاء أيضًا في خضم الانتعاش الاقتصادي الذي شهده الروس أكثر من أي وقت مضى في تاريخ البلاد.

تولى ميدفيديف اليمين الدستورية في عام 2008م في وقت تأمل فيه روسيا أن تتجاوز تاريخها المضطرب، وتنقل السلطة إلى جيل جديد من القادة، الذين يعرفون فقط روسيا الحديثة لا الاتحاد السوفييتي، واليوم عاد بوتين لأداء القسم مرة ثالثة، وتعهد أن يخدم البلاد ويحميها ست سنوات أخرى، ولكن تغيَّر هو والبلد، وعاد إلى السلطة من خلال تقسيم البلاد، وتأجيج الخوف من الأعداء في الداخل الذين يريدون الاستيلاء على السلطة وقلب كل ما أُنْجِزَ منذ أن أدى القسم الأول. عاد إلى السلطة لأنه جعل نفسه الخيار الحقيقي الوحيد في الاقتراع، فلم يعد رئيسًا لكل روسيا، وإنما للغالبية التي يحظى بها فقط، وكانت المعارضة الدواء المر.

استعاد المشوار الطويل في قصر الكرملين الكبير الذي دخله قبل اثني عشر عامًا، وكان المرشحون المهزومون هناك، وإن لم يكونوا في المقدمة، كان ميخائيل جورباتشوف، وزعماء أجانب أمثال سيلفيو برلسكوني، الصديق اليوم الذي تولى ثلاث مرات رئاسة وزراء إيطاليا تقريبًا، ويماثله في الأقدميَّة، لكن كانت حياته السياسية قد وصلت إلى نهايتها وسط دوامة من التحقيقات في أمواله وحياته الجنسية.

تحدث ميدفيديف أولًا بإيجاز قائلًا إن الاستمرارية كانت أساسية لمستقبل روسيا، وعلى نحو مميز، كما فعل يلتسين ولم يفعل بوتين، اعترف بعيوب رئاسته؛ قال: «نحن لم ننجح في كل ما كنا نأمله، ولم ننجح في استكمال كل شيء خططنا له». بدا بوتين هادئًا ورزينًا؛ فاليوم تقدم به السن، وشدَّ وجهه بالجراحة التجميلية، وشعره الخفيف تراجع أكثر، ولكنه وهو في التاسعة والخمسين ظل نحيفًا ورشيقًا، ثم بدأ كلمته قائلًا: «أرى أن معنى حياتي وغرضها هو أن أخدم بلدنا وأخدم شعبنا، الذي يعطيني الإلهام والمساعدة التي أحتاج إليها»، وقال إن السنوات المقبلة ستكون حاسمة في شكل البلاد التي ستصبح عليها روسيا؛ روسيا التي قال إنها استعادت (الكرامة كأمة عظيمة)، وسوف تكون مركز الثقل لجميع أوراسيا، «اليوم يرى العالم كيف تنهض روسيا من جديد».

بعد تصريحاته المقتضبة غادر المنصة وحده متجهًا مباشرة إلى ليودميلا، التي وقفت بجانب زوجة ميدفيديف والبطريرك كيريل خلال الحفل، وبدا عليها الوجع للحظات، وكان اختفاؤها من الحياة العامة مصدرًا للتكهنات والتعاطف والسخرية. وقف بوتين على بعد خطوتين منها، ثم استدار وعاد إليها، واستند إلى حبل أحمر وطبع قبلة على خدها، ثم غادر.

إذا كان ثمة توقع بأن تأتي الولاية الثالثة لبوتين بنهج أقل سلطوية أو ليونة، فهذا قد تبدد على الفور؛ إذ بدأت السلطات تحقيقًا واسعًا في المشاجرة في بولوتنايا التي يصفها المسؤولون اليوم بالشغب الجماهيري، بل وبمحاولة انقلاب، ووجهت التهم الجنائية لسبعة وعشرين شخصًا ليسوا قادة في حركة الاحتجاج، وليسوا متطرفين، لكنهم أناس عاديون انضموا إلى الاحتجاج برغبة شديدة كي تُسمع أصواتهم، وكان من بينهم طلاب، وصحفي مستقل، ومدير مبيعات، وفنان، وعامل مترو الأنفاق، ومساعد صحفي لأحد المعارضين القلائل لمشرعي القوانين في مجلس الدوما. وقد تمكن ناشط ملاحق، اسمه **ليونيد رازفوزهاييف**، من الهرب إلى أوكرانيا، ولكن ألقى القبضَ عليه هناك عملاء ملثمون، وأعادوه إلى موسكو، وادعى أنه اختُطِف وعُذِّب[12]. المتهمون عوقبوا بسنوات في السجن، وغالبًا ما كانت تستند الأحكام إلى أدلة واهية من أشرطة الفيديو، وشهادة من رجال شرطة مكافحة الشغب المصابين والمتضررين.

لم تحدث اعتقالات جماعية بعد تنصيب بوتين، ولا إرهاب عظيم ضد المنشقين، ولكن كان ثمة تزايد ثابت وانتقائي في ضغط النيابة العامة على أولئك الذين وقفوا ضده، واستخدمت السلطات تحقيق بولوتنايا ذريعة للتحقيقات في جميع أنحاء البلاد لسنوات قادمة، حتى في الحالات التي كانت لها صلة قليلة بالمشاجرة في ذلك اليوم، ومن بينها واحدة في عام 2013م ضد اثنين من نشطاء حقوق الإنسان في أوريل، على بعد مئات الأميال من موسكو[13].

عندما خطط زعماء المعارضة لتنظيم تجمع جديد يوم 12 يونيو/حزيران الذي يصادف عطلة استقلال روسيا عن الاتحاد السوفييتي في عام 1990م، اقتحمت فرق من محققي شرطة موسكو بيوت أبرز قادة المعارضة، ومن بينهم ألكسي نافالني، وبوريس نيمتسوف، وإيليا ياسين، وكسينيا سوبتشاك، النجمة التلفازية، والعضو البارزة في المجتمع، وابنة المستشار السياسي لبوتين، الرجل الذي حظي ذات مرة بالترحيب لكونه رمزًا للديموقراطية الوليدة في روسيا. وقد أكد دورَها في الاحتجاجات- التي نظر إليها بعضهم بشيء من الريبة بسبب شهرتها، وثروتها، واتصالات عائلتها مع الرجل الذي في القمة- عمق المعارضة التي يواجهها بوتين في بعض الأوساط لدى عودته إلى الكرملين. قالت كسينيا سوبتشاك لمحطة تلفازية بعد تفتيش شقتها وكانت ترتجف: «لم أكن أعتقد يومًا أنني سأقول هذا، من حسن الحظ أن والدي ليس هنا ليشاهد ما يحصل»[14].

استدعي جميع قادة الاحتجاج في اليوم التالي لاستجوابهم، على الرغم من أنه كان يوم عطلة؛ لمنعهم من حضور التجمع. وشجع نافالني الاحتجاج على وسائل التواصل الاجتماعي، ونشر رسائل ساخرة على تويتر حتى عندما كان ينتظر التحقيق، وأظهر أكثر من خمسين ألفًا تأييدهم، ولم يخِفهم الاعتقال والتفتيش، وتعهدوا من خلال مكبرات الصوت بالحفاظ على الزخم، فازداد الضغط، على الرغم من المضايقات التي تعرضت لها الشخصيات البارزة في الحراك، وخاصة المشاهير مثل سوبتشاك التي أوصلت رسالة بأن العلاقات شخصية ببوتين لا توفر الحماية لمن انتفض ضده، وكانت كما لو أنها إشارة سُرِّبت من خلال صفوف البيروقراطية.

خوِّلت الشرطة والنيابة العامة، والنواب الجدد في مجلس الدوما والاتحاد، بوقف انتشار عدوى تحدي بوتين بأي وسيلة؛ ومن ثم ففي غضون أسابيع من تنصيبه، أقر مجلس الدوما بسرعة قانون زيادة غرامات متنوعة على المشاركين في الاحتجاجات غير المصرح بها، من 5 آلاف روبل إلى 300 ألف روبل، أي ما يقرب من عشرة آلاف دولار في كل مرة، وأكثر

بأضعاف من متوسط الراتب الشهري، ومنعت مدينة موسكو عرض شرائط بيضاء على السيارات، وأقر مجلس الدوما قانونًا يعطي السلطات الحق بإغلاق المواقع بزعم أنها تنشر معلومات غير مناسبة للأطفال، وأخرى تمنع نشر (دعاية مثليي الجنس). وفي يوليو/تموز صدر قانون جديد يطلب من المنظمات التي تتلقى تمويلًا أجنبيًّا أن تسجَّل على أنها (وكالات أجنبية)؛ وهي عبارة ذات أصداء مؤرقة منذ عصر الاضطهاد السوفييتي، وقانون آخر يسمح بإنزال أقصى العقوبات؛ بالسجن عشرين عامًا لمن «يقدم مساعدة استشارية لمنظمة أجنبية»؛ لأنها تعمل ضد الدولة. وردًّا على سؤال من اللجنة الخاصة به لحقوق الإنسان حول قسوة التشريع وسعة نطاقه، قال بوتين إنه سيراجعه شخصيًّا، ثم وقَّع عليه ليصبح قانونًا في اليوم نفسه، ولم يستهدف فقط الجماعات السياسية علنيًّا، مثل غولوس، وإنما استهدف أيضًا آخرين مثل برنامج مراقبة البيئة في شمال القفقاز، الذي حاول رصد الأضرار البيئية التي نجمت عن البناء الأولمبي في سوتشي.

في أكتوبر/تشرين الأول، وسَّع الدوما تعريف الخيانة لتشمل أي شخص يسرب- ولو عن غير قصد- (أسرار الدولة) إلى دولة أجنبية أو منظمة دولية، وحتى لو كانت المعلومات متاحة للجمهور فيمكن أن يُتهم ويُحكم عليه بأنه خائن.

كان التضييق يزداد أكثر، حتى بات التلميح في نقاش ما يمكن أن يعاقب عليه القانون، ما دام أن مجلس الدوما والمجلس الاتحادي يصدران القانون تلو القانون، وأصبح الافتراء- الذي لم يجرِّمه ميدفيديف- جريمة مرة أخرى، فقد ازدادت عقوبات الافتراء والتشهير، خاصة ضد المسؤولين الحكوميين، وجُرِّم كل تجديف «وتطاول على المشاعر الدينية»، مستوحى من فرقة نساء البازي رايوت، أما أولئك المنشقون فليس أمامهم سوى العقاب.

جُرِّد أحد نواب مجلس الدوما الذي تجرأ على الانضمام إلى المحتجين، من حصانته وولايته، وطردت أم كسينيا سوبتشاك، ليودميلا ناروسوفا، من مقعدها الذي تشغله في المجلس الاتحادي عشر سنوات، على الرغم من علاقتها ببوتين.

فورة التشريع خلطت تدابير القمع السلطوي القاسية بالنداءات الوطنية والدينية، وكانت النتيجة شرابًا مسكرًا فعالًا، وحربًا ثقافية ولدت في قلب رئاسة بوتين الجديدة. كانت محاكمة فرقة البازي رايوت أول معركة كبرى، حيث افتتحت في 30 يوليو/تموز، وهو اليوم الذي وقَّع فيه بوتين على قانون بخصوص القذف وقيود الإنترنت. في أول أقوال لهن من داخل صندوق زجاجي مغلق يحيط به الحراس وكلب مزمجر، اعتذرت الشابات الثلاث عن التسبب بالإساءة، لكنهنَّ أصررن على أنهن لم يتلفظن بأي كلمة تحمل عداء دينيًّا، بل إنه احتجاج سياسي تحميه حرية التعبير، وكان هذا جوهر الدفاع الذي لم يتوقعه أحد أن ينتشر. وقد شاب المحاكمة مخالفات قضائية وجهود مضنية لكي يشير المحامون إلى (الضرر المعنوي) الذي نتج عن هذا الأداء الوجيز، ومورست الضغوط على الشهود الذين لم يكونوا هناك وإنما شاهدوا الفيديو فقط. واشتكت إحدى محاميات الدفاع، فيوليتا فولكوفا، أن المتهمات لم يسمح لهن بمراجعة الأدلة ضدهن، لأنها تشمل مئات الساعات من أشرطة الفيديو التي لم يسمح لهن بمشاهدتها في مركز الاعتقال، وأضافت أن وثائق الادعاء زُوِّرت، ولم يسمح لها ولزملائها بلقاء سري مع موكلاتها ولو مرة واحدة، كذلك مُنع خبراء شهود الدفاع من الإدلاء بشهاداتهم؛ فقد تجاهلت المحكمة ببساطة اعتراضات الدفاع. قالت فولكوفا: «ثمة شعور اليوم أننا لسنا في روسيا القرن الحادي والعشرين، ولكن في عالم بديل آخر، في خرافة مثل **أليس في بلاد العجائب**، كما هو حال أليس في القفص الزجاجي». وقالت- لتقلل من شأن ادعاء النيابة العامة بأن ثواني قليلة من الاحتجاج يمكن أن تحطم مرتكزات كنيسة مضى عليها آلاف الأعوام-: «لا بد لهذا الواقع السخيف أن يختفي وينهار كما ينهار بيت من ورق»[15].

محاكمتهن الصورية تعيد إلى الأذهان تلك المحاكمات في عصر ستالين أو بريجنيف، وهذه المرة مع تحريف للحقائق وتوثيق للشهادات شفاهة أو مكتوبة على شبكة الإنترنت. على الرغم من أن النيابة العامة بذلت قصارى جهدها لتصوير النساء الثلاث على أنهن منحرفات وغير متعلمات، فإنهن أبدين استعدادًا وشجاعة ومعرفة كبيرة في التاريخ والفكر الديني؛ ففي أقوالهن الختامية أشرن إلى الثورات الفكرية والأخلاقية للمفكرين من

سقراط إلى يسوع، ومن دوستويفسكي (الذي واجه ذات مرة محكمة إعدام وهمية) إلى سولجينتسين. وفي ختام أقوالها قارنت ماريا أليوخينا السجن بـ(روسيا مصغرة)، حيث يفقد الناس الإحساس بأنفسهم كأي شيء آخر، فهم لا شيء سوى ضحايا تعساء تحت رحمة إدارة السجن.

زادت المحاكمة من الغضب الدولي من التحول السلطوي الأوسع الذي اتخذه بوتين، وكان يطارده كلما سافر إلى الخارج، وقد أدلى بأول تصريحات علنية له بشأن هذه القضية عندما زار لندن خلال دورة الألعاب الأولمبية الصيفية عام 2012م، والألعاب الأخيرة التي عقدت قبل تلك في سوتشي، وادعى أنه لم يثر هذه المسألة مع رئيس الوزراء البريطاني، ديفيد كاميرون، على الرغم من أن مساعدي رئيس الوزراء قالوا إنهم ناقشوا القضية في الواقع. أخطاء بوتين، واستخفافه بالحقائق، أصبح من الصعب تجاهلها. قال ردًّا على سؤال حول المحاكمة: «أنت تعرف، لا شيءَ جديدًا بخصوصها، لا أريد في الواقع أن أعلق على ذلك، لكن أعتقد إذا تحدثت هؤلاء السيدات الشابات عن إسرائيل، ودنَّسن شيئًا هناك- كثيرون منكم يعرفون أن هناك بعض الشباب الأقوياء- فغالبًا لن يمر ذلك مرور الكرام»، لو قدمن ذلك العرض في مسجد في شمال القفقاز، فالشرطة لن تعتقلهن في الوقت المناسب كي تنقذهن من مصيرهن الأسود. وأعرب عن أمله في ألا يكون الحكم (قاسيًا جدًّا)، على الرغم من أن مسألة الحكم لم تكن في موضع شك على الإطلاق.

في 17 أغسطس/آب وقع ما لم يكن مفاجئًا لأحد، إذ أدينت الثلاث، ورفض القاضي مرافعة الدفاع بأن ما فعلنه هو احتجاج سياسي ضد قادة الدولة. كانت النيابة العامة قد طلبت الحكم بالسجن ثلاث سنوات، لكن بات من المؤكد أن تصريحات بوتين أثرت في قرار القاضي بالحكم عليهن بالسجن عامين فقط. تجمع المئات من أنصار الفرقة خارج المحكمة، في حين اجتاح الآخرون موسكو، ووضعوا أقنعة ملونة على التماثيل، وكانت الشرطة مستعدة ولا ترحم، فحتى قبل قراءة الحكم، أُخرج غاري كاسباروف من مؤتمر صحفي مرتجل على درج المحكمة، وتعرض للضرب حين أجبرته الشرطة على الدخول في شاحنة

لها، وحالما انتشر نبأ الحكم، اندلعت اشتباكات حول مبنى المحكمة مع الشرطة التي اعتقلت العشرات. هذا كله كان يُبَث على شاشات التلفاز الحكومي، وهو ما أجج المشاعر المناهضة للغرب التي أصبحت العنصر الرئيس في الهجوم المضاد للكرملين.

في كلمتها الختامية إلى المحكمة، استشهدت ناديجدا بأنشودة سولجينتسين- وبكل شجاعة- عن قوة الكلمة في روايته **الدائرة الأولى**؛ قالت: «أنا أعتقد- كما سولجينتسين- أن الكلمة سوف تخترق الإسمنت»، ولكن قضية البازي رايوت قسمت المعارضة وقزمتها، وأصبح الحماس الكبير للاحتجاجات، اليوم مخنوقًا، ومتراجعًا تحت الأرض، أو لم يعد له وجود. وقد تكون نساء البازي رايوت أصبحن نجومًا عالمية، ولكن الحركة التي وُلدن من رحمها عانت كثيرًا، والفنانتان المؤديتان اللتان كانتا في الكاتدرائية، وحُدِّدت هويتاهما فقط بـ(بالاكلافا) و(سيرافيما)، غادرتا البلاد بعد صدور الحكم.

في أكتوبر/تشرين الأول، التمست النساء الثلاث التخفيف من عقوبتهن، حتى ديمتري ميدفيديف، الذي عيِّن اليوم في منصب رئيس الوزراء، قال إنه على الرغم من استيائه من احتجاجهن، فإنه يعتقد أن استمرار حبسهن غير ذي فائدة وغير ضروري. كُنَّ رهن الاحتجاز منذ سبعة أشهر على أي حال. كانت كاتيا قد وكلت محاميًا جديدًا، وبدلًا من محاولة تسويغ الاحتجاج، قالت إن قناعتها يجب أن تكون على عكس ذلك؛ لأنها لم يكن لديها الوقت للعزف حتى على الغيتار قبل أن تندفع قبالة سوليس soleas. وجادل محاميان آخران أن تصريحات بوتين وميدفيديف قد أضرت بالمحاكمة، ومن ثم هنالك ما يسوغ تعليق المحاكمة أو إعادتها. قبل القاضي بحجة كاتيا، وأطلق سراحها بناء على حكم مع وقف التنفيذ، في حين رفض التماس ناديجدا وماريا. ويشتبه بعضهم أن كاتيا ربما توصلت إلى اتفاق منفصل، أو ربما يريد أن يظهر الكرملين أن القضاء كان في الواقع حرًّا في تداول القضية بكل إنصاف، وقليل من يعتقد أن كاتيا قد ربحت الطعن بناء على أسس موضوعية.

بعد الإفراج عن كاتيا غابت عن الرأي العام، صحيح أنها لا تزال تلتقي بعض أعضاء البازي رايوت في موسكو، لكن لم يعودوا يعرضون شيئًا، وكانت متأكدة أنهم باتوا تحت المراقبة. في مقهى النباتيين في موسكو وبعد إطلاق سراحها، أوضحت أن المغزى من أدائهم شُوِّه بشدة لأغراض سياسية في الكرملين، غير أنها اعترفت أيضًا أن الجمهور الأوسع لم يكن ليتقبل الرسالة[16]، فالشعب الروسي لم يكن مستعدًّا لتحدي النظام الذي سيطر ببطء على المجتمع، ولم يكن بوتين هو الشرير في النيابة العامة ضدهم، كما تعتقد؛ إنه ببساطة يمثل وجه مجتمع محافظ وأبوي بامتياز؛ والشرير هو التناغم المذهل لهذا النظام في الثقافة وفي السياسة، الذي جعل أي انحراف في الفكر مخاطرة كبيرة جدًّا في التفكير. وقالت: «إن المشكلة ليست في أن الجميع يعتقدون ببراءتنا، وأن التهم الموجهة ضدنا غير قانونية، وأن بوتين وحده سيئ، يُجري مكالمات هاتفية ويصدر الأوامر في القضية؛ المشكلة هي أن **الجميع** يعتقدون أننا كنا مذنبات».